

إيران ومشروع الدولة الإقليمية العظمى

الكاتب : نبيل العتوم

التاريخ : ٧ سبتمبر ٢٠١٥ م

المشاهدات : 1187



برز الاتفاق النووي الذّي وقّعه إيران مع القوى العظمى، للرسم مقارنة جديدة قائمة على فرضية أن خارطة التوازنات فـلا المنطقة قد تبدلت وتغيرت إلى غير رجعة، حيث تصدح سمفونية الإعلام الإيراني ليل نهار، بأن ساعة الحسم قد دقت وبأن طهران باتت تتربّع على عرش الشرق الأوسط دون منازع، كونها القوة التي باتت الأثر تأثراً ونفوذاً وهيمنة على مستوى الإقليم.

تعتبر طهران أن الإنجاز الذي تحقق اليوم لم يكن بالحصاد السهل على الإطلاق، فقد بذلت في سبيل تحقّقه الغالي والنفيس، وتحملت فـلا سببـله الحظر والعقوبات الاقتصادية، وحملات التشوّه، لكنها في النهاية نجحت في مواجهة لـل أدوات الهلـمنة الغربية، سواء الناعمة منها، أو الخشنة؛ بل إن ما وصلت إليه إيران على حد تعبيرها لـل أن أشبه بالمعجزة، فـلا ظل الظروف الصعبة التي أحاطت بها منذ قـدام الثورة الإسلامية فـلا عام ١٩٧٩، لكنها نجحت أخيراً في أن تسلـر بالبلاد والمنطقة نحو واقع جديد.

نعم، لـلحق للعالم العربي، الذي يُعايش التخريب الإيراني للأمن الإقليمي ليل نهار أن يقلق من هذا التحول الحاصل لصالح إيران، ومن زيادة احتمالات دولة الملالي المتزايد بالتوجه نحو عسكرة برنامجها النووي، وأن تزيد من وتيرة سعي إيران المستميت الحصول على القنبلة النووية، وبأي ثمن، وعلى حساب أي سياسة ووسيلة كانت.

لا شك بأن إيران قد وصلت إلـل ما وصلت إليه بالوسائل غير المشروعة، وهنا لـلنبغـل الالتفات إلـل أن تحصيل الدول للنفوذ، لـلكون مشروعاً عندما تـلـون الوسائل مشروعة، وتعتمد على العلاقات الطبـلـلـل، لكن المثال الإيراني يختلف تماماً، فهي دولة مدانة بكل المقاييس، خاصة عندما تـلـون الوسائل والطرق التي تنتهجها غـلـلر مشروعة، بل غير أخلاقية، لـلإشعال الحروب، الفتن، الفوضى، التوسل بالنزاعات المذهبية، والتحريض الطائفي والقتل على امتداد الإقليم.

بدايةً حاولت إيران استغلال توظيف ما اصطلح على تسميته "الربيع العربي" لصالح مشروعها التوسعي، وسعت لدعم سيناريو مشروع التقسيم المراد للمنطقة على أسس طائفية وإثنية وعرقية ومذهبية، تمهيداً لشرعة توسعها في المنطقة، والثانية أسهمت السياسة التي انتهجتها إيران بالحفاظ على أمن إسرائيل، بسبب سلوكها

التدخلي في العراق وسوريا ولبنان، ومن هنا يمكن الحديث عن زمن صعود نجم إيران الذي أفرزته لعبة طهران في المنطقة فمحور الممانعة الذي تتسببه طهران استطاع فيه ولي الفقيه أن يكون أداة طيعة بيد واشنطن، وأن يراكم ويبدع في نشر الدمار والقتل والتخريب والفوضى المسمومة في أروقته «خلاقة» وتحديداً في دول الطوق التي استنزفت خلالها واستهدفت المؤسسات العسكرية، ودُمرت الموارد والمقدرات والبنى التحتية بأدوات إيرانية، ومن خلال وكلائها وبتمويلها، بحيث لم تخسر أمريكا وإسرائيل فيها لا جندي ولا حتى دولاراً واحداً، وكل ذلك خدم الكيان الصهيوني، وحقق ضماناً لأمنه وبقائه بعيداً عن حروب المنطقة، بدوره الإيراني وبالرغم من فشله المتكرر في تحقيق ما تصدر له من مهمات، وما تعرضت له أدواته من هزائم متتالية، وبعد فشل مشروعه في لبنان، اليمن، العراق، وحتى سوريا التي باتت مستنقعاً غار فيه الإيراني حتى أذنيه، إلا أنه حجز مقعده في هذه اللعبة، وتم إشراكه في الحراك السياسي الحاصل، والمثير أن يكون شريكاً في التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب.

من المناسب التذكير هنا بأن طهران لم ولن تحرك لوماً جلاً وشهاً أو أساطيلها لمواجهة الشيطانين أمريكا أو إسرائيل، بل تركت هذا المهمة لوكلائها القاصرين في المنطقة، وبالمقابل اجتهدت وناضلت مسلحة بمبادئ تصدير ثورتها "الإسلامية"، وعملت من خلال جهدها الدؤوب، وبعزيمة راسخة لاستهداف دول الإقليم العربية وشعوبها في أمنها واستقرارها، فلم تنج دولة من الخطر الإيراني وويلاته.

صحيح أن دولة الملاي رفضت أن تكون وكيلاً للغرب في المنطقة بشكل معلن كما كان الشاه المخلوع، ولم تبحث طهران عن نفوذ تحققه لها القواعد العسكرية الأمريكية، بل لجأت إلى بناء قوات مسلحة، وحرس ثوري، وخلايا نائمة، مدججة بالهزيان المهدوي، وبالفكر التوسعي على أسس مذهبية خيالية مقيته، وأرسلت قواتها وخلاياها بدءاً من العراق، مروراً بسوريا، البحرين، الكويت، السعودية والحبل على الجرار حتى تعيث خراباً وتفجيراً وقتلاً، فشغلت الأمة العربية، واستنزفت إمكاناتها وقدراتها، وتوجيه مواردها باتجاه الخطر الإسرائيلي والقضية الفلسطينية.

كذلك توسلت إيران بخطاب الراهلة والمذهبية للكون مطالبته بالنفوذ في الدول، وسلكت النهج التحرضي ضد الشعوب ومكوناتها الإثنية والمذهبية، وحقق نفوذها بفعل ضعف البناء الاجتماعي والأمني العربي، ومن خلال توظيف استخدام القضية الفلسطينية، ونصرة المستضعفين والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، ومقارعة المستعبرين، كشعارات فارغة مقيته لخداع بعض القطاعات الشعبية العربية.

ونحن نقول لمن انطلت عليه عملية الخداع الإيراني، أن دولة الملاي لم تقدم على الصعيد الداخلي نموذجاً فريداً من الوحدة الداخلية لتكون نموذجاً للديمقراطية الدينية، من خلال إقامة حكومة شعبية قائمة على القيم الدينية، بلحق للمواطن فلها أن تقترح ولتنتخب ممثلها في الدولة والبرلمان، والمشاركة في تقرير مصير البلاد، بشكل حر ومسؤول بحيث تكون ملهماً للحكومات والشعوب العربية، بل كانت مثالا صارخاً للدكتاتورية الدينية المبنية على فكري الخرافة والتوسع، على حساب حقوق الإنسان، وانتهاكات حرية الشعب الإيراني بمكوناته، وخرابته الديموغرافية والدينية، حيث مارست انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان من زج لرموز المعارضة في غياهب السجون، وممارسة التمييز العنصري والمذهبي، واستهداف مواطنيها، بشكل تصدرت فيه إيران عن جدارة لقب أكثر دولة في العالم تنفذ عمليات إعدام على المستوى الدولي.

خارجياً؛ لاشك بأن إيران تُحاول تعظيم دورها الإقليمي من خلال المزج من التأثير والتعاظم، خاصة مستغلة

"الهوسة" الدولية لمكافحة الإرهاب، وأن تستعرض نفسها كشريك في الحفاظ على الاستقرار الإقليمي والدولي، ومحاولة استغلال فكرة خطيرة تروج لها مراكز التفكير الأمريكية، ومفادها أن الولايات المتحدة لن تستطيع القيام بعمليات برية ضد تنظيم داعش، بدون الدور الإيراني الفاعل، ولهذا توصي مخازن التفكير في واشنطن إدارة أوباما، بضرورة أن يكون لإيران دور مهم مستقبلاً في قيادة القتال ضد التنظيم، وترى أهمية تخفيف العقوبات الاقتصادية وسناسة الحظر على تصدير الأسلحة التي قد تؤثر بشكل سلبي على قوة إيران العسكرية لمواجهة الإرهاب؛ مما سيمكن هذا الطريق إلا أن تصبح إيران شريكاً فاعلاً ومؤثراً في مكافحة الإرهاب، وأن تلعب دوراً قيادياً في الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط، لهذا توصي بعض مراكز التفكير الأميركية برفع مستوى التعاون الغربي مع طهران لتحقيق النصر على الإرهاب.

أمام كل ذلك، وبعد إنجاز الاتفاق النووي، وما تلاه من توحيد جميع الإرادات الدولية والإقليمية تحت عنوان أوحده خلال المرحلة القادمة «مواجهة الإرهاب»، من هنا يمكن فهم الحديث وبدء التوافق على تسوية شاملة أساسها القبول بأن تكون إيران دولة إقليمية كبرى، بحيث لا حرب فيها إلا على الإرهاب، ومن خلال القناعة التامة بالدور المحوري لإيران لمواجهته، ونسوا هؤلاء جميعاً أن دولة الملاي كانت وما زالت منبع الإرهاب ومصدره الأساس في المنطقة.

مركز أمله للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: